

المجتمع المثالي

المجتمع المثالي ليس له وجود، وليس هناك إمكانية لخلقه، لذلك لا يجوز لنا إضاعة الوقت والجهد في البحث عن مجتمع مثالي، أو استثمار أموال وعقول في محاولات يائسة لخلق مجتمع مثالي. كل مجتمع يعاني من نواقص كثيرة يمكن التخلص من معظمها ضمن عملية بناء مجتمع يقترب من مثالية لن تكتمل أبداً. على الرغم من ذلك، يعتقد كل صاحب عقيدة أن الفكرة العقائدية التي يؤمن بها هي الطريق لخلق مجتمع مثالي يحقق للإنسان ما يصبو إليه من عدل وحرية وسعادة. وحتى لو قبلنا بهذه المقولة الخاطئة الواهمة، فإن عمليات التحول الاجتماعي والثقافي المتواصلة على مستوى الفرد والمجتمع والعالم تضمن عدم اكتمال مهمة بناء مجتمع مثالي مهما طال الزمن، كما تضمن أيضاً وقوع خلافات في الرأي والرؤية بين قادة العقيدة الواحدة تؤدي إلى صراعات داخلية تتناقض عملياً وأخلاقياً مع فكرة المجتمع المثالي، وهذا يعني بحد ذاته أنه ليس هناك عقيدة قادرة على خلق مجتمع مثالي. لذلك يعاني كل مجتمع، بغض النظر عن طبيعة ثقافته وتشكيلاته الاجتماعية والاقتصادية، من نواقص كثيرة، بعضها مادي، وبعضها أخلاقي، وبعضها شعوري، وبعضها الآخر روحاني. ومهما قيل في هذا الموضوع، فإن علينا أن ندرك أن مفهوم المجتمع المثالي لم يحظ أبداً باجماع المفكرين أو السياسيين أو رجال الدين في أية فترة من التاريخ.

الإنسان الجائع يعاني من الفقر المادي والحاجة للمال والغذاء أحياناً.

الإنسان الثري يعاني من نقص القناعة، وفقر الصداقة وضعف الثقة بالآخر.

الحاكم السلطوي يعاني من نقص الصبر، والعزلة والخوف على عرشه، وعدم الثقة بالشعب.

المتكف يعاني من التفرقة أحياناً، ومن نقص حرية التعبير والتفكير دوماً.

المفكر يعاني من نقص الوقت، وضعف القدرة على إقناع عامة الناس بأفكاره ونظرياته.

المؤمن يعاني من التطرف، وعدم احترام الرأي الآخر، وكراهية الآخر أحياناً.

القومي يعاني من عقدة الاستعلاء، وعدم الاعتراف بحقوق أبناء القوميات الأخرى.

المجتمع الرأسمالي يعاني من فقر الحكمة، وغياب العدالة والجشع.

المجتمع القومي يعاني من التفرقة ضد الأقليات، والكبت وغياب الحرية.

المجتمع المتدين يعاني من الجمود الفكري وعدم التسامح مع الآخر.

المجتمع الماركسي يعاني من كابوس الصراع الطبقي، وتسلط السلطة، والشك في الآخر.

الأقلية تعاني من ظلم الأكثرية.

الأكثرية تعاني من مؤامرات الأقلية.

ونسبة كبيرة من كل مجتمع تخاف من المستقبل، أو تتعامل معه بحذر.

لذلك، كلما ابتعد الناس عن الايديولوجيات، وسادت أجواء الحرية والعدالة والتسامح وتكافؤ الفرص في المجتمع، كلما اقترب المجتمع المعني من المثالية، وهذا يستوجب سماح النظام الحاكم بحرية الرأي والتعبير والتنظيم والعبادة، وتبني دستور يضمن الحريات العامة ويحميها من الفئات الاجتماعية ذات التطلعات السلطوية. وكلما ابتعد المجتمع عن تلك القيم والمبادئ كلما ابتعد عن المثالية، وفتح المجال واسعاً لانتشار فكر الاحباط الذي يدعو إلى اليأس، وفكر التطرف والاستبداد، والنشاط الذي يدمر ولا يبني، وشيوع حالات الفقر والحاجة، وانتشار السجون التي تعمل على وأد ملكات الخلق والابتكار والمبادرة. وفيما يشجع غياب حرية الرأي والتعبير انتشار الفكر التأمري، يشجع غياب الحرية الدينية على التعصب، ويشجع غياب العدالة على التمرد. أما غياب المساواة أمام القانون فيشجع على الاغتراب وتجزئة المجتمع إلى فئات متناحرة.